فلسفة اللغة بين إسهامات العرب الأولى والطرح الغربي المعاصر

The philosophy of language between the early contributions of the Arabs and the contemporary Western discourse

داود خليفة [1]* / [2] واعر آسيا

جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف(الجزائر) k.daoud@univ-chlef.dz

جامعة باجي مختار – عنابة (الجزائر) assia.ouar@univ-annaba.dz

تاريخ الاستلام: 2020/11/15 تاريخ القبول: 2020/11/28 تاريخ النشر: 2021/08/01

ملخص: نحت الفلسفة المعاصرة نحو اللغة وجعلتها موضوعها الرئيس الذي ينبغي على الفلسفة أن تهتم به ويشتغل عليه الفلاسفة، هذا المنحى هو ما عُرِف بـ"التحول اللغوي"، الذي تجسد خاصة مع الفلسفة التحليلية، فطغت فلسفة اللغة على مباحث الفلسفة في القرن العشرين، حتى عُرِف هذا العصر بأنه عصر فلسفة اللغة. نهدف من هذا البحث إلى تسليط الضوء على بعض الإسهامات في فلسفة اللغة، في العالمين العربي الإسلامي والغربي، ولئن كانت فلسفة اللغة تدرج حصرا في إطار الفلسفة الغربية المعاصرة، فإن للعرب المسلمين إسهامات لا تقل أهمية عن إسهامات الفكر الغربي المعاصر في هذا المجال. وهذه هي النتيجة التي توصلنا إليها في هذا البحث.

كلمات مفتاحية: الفلسفة، اللغة، التحول اللغوي، الفلسفة التحليلية، المنطق، الفكر العربي الإسلامي.

Abstract: Carving contemporary philosophy towards language and making it the main topic that philosophers should be concerned with and work on. This approach is what is known as the "linguistic turn" which embodied especially with analytic philosophy, so the philosophy of language prevailed over philosophy in the twentieth century, until this age was known as the era of language philosophy. The aim of this research is to shed light on some contributions to the philosophy of language, in the Arab, Islamic and Western worlds, and while the philosophy of language is included exclusively within the framework of contemporary Western philosophy, the arab Muslims have contributions that are no less important than those of contemporary Western thought in this field. And this is the conclusion we reached in this research.

Keywords: Philosophy, language, linguistic turn, analytical philosophy, logic, Arab-Islamic thought.

---

* المؤلف المرسل

المنارة للاستشارات
ww

1. مقدمة:

تعد اللغة أداة التواصل بين الأفراد، اهتمم بها العقل البشري منذ أزمنة غابرة، ويمكن التحقيب الزمني لهذا الاهتمام من الفلسفة السفسطائية التي سعت إلى تعليم الشباب الأثيني فن الخطابة والجدل، حتى أنه يمكن القول أنّ الفلسفة السفسطائية هي بالدرجة الأولى فلسفة في اللغة. ثم انعطفت الفلسفة المعاصرة على اللغة وجعلتها أم مباحثها. سنحاول في هذا العمل أن نبين الجهود الفكرية التي بذلت في ميدان اللغة وفلسفتها، وقد ركزنا على إسهامات بعض فلاسفة العرب المسلمين وكذا إسهام المدرسة التحليلية كنموذج عن الطرح الغربي. وقد انطلقنا من الإشكالية المحورية التالية: ماهي إسهامات كل من الفكر العربي والإسلامي والفكر الغربي في مجال فلسفة اللغة؟ وتنطوي تحت هذه الإشكالية المحورية مشكلات جزئية، وهي: ماهي فلسفة اللغة؟ ما مدى مساهمة الفلاسفة المسلمين في الدراسات اللغوية؟ ماهي الإضافات التي قدمتها المدرسة التحليلية للفلسفة اللغة؟

وقد اشتمل بحثنا على افتراضين، هما: أولهما وجود إسهام عربي إسلامي في فلسفة اللغة. وثانيهما مدى أهمية التحليل اللغوي للقضاء على مشكلة غموض المفاهيم والتصورات.

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على تقديم بعض الإسهامات في ميدان فلسفة اللغة، وخاصة الفكر العربي الإسلامي في هذا المجال، كما يهدف إلى بيان مدى أهمية التحليل اللغوي في التوضيح.

وللإجابة على الإشكالية والتحقق من الفرضين انتهجنا المنهج التاريخي والتحليلي، حيث عرضنا مقاربة تاريخية للفسلة واللغة، ثم بعض إسهامات مفكري الإسلام في مجال فلسفة اللغة مع تحليلها والتعليق عليها، والأمر عينه بالنسبة لما عرضناه في الإسهام الغربي مع المدرسة التحليلية.

2. الفلسفة واللغة: مقاربة تاريخية:

لم تكن اللغة موضوعاً رئيساً في الفلسفة، إلا مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. لذلك تعتبر فلسفة اللغة من المباحث الجديدة في البحث الفلسفي.

والقول بحداثة مبحث اللغة في الفلسفة لا يعني على الإطلاق أن القدامى لم يتناولونه، أو أن اللغة لم تثر فيهم أي اهتمام أولم تطرح عندهم أي إشكال، بل نجد عكس ذلك؛ فالبحث في اللغة وطبيعتها وأصلها وعلاقة الألفاظ بمعانيها كان دوما موضوعا للبحث والتأمل عند الفلاسفة منذ القدم.

المنارة للاستشارات
ww

ولعلّ أول إسهام فلسفي في اللغة كان في الفلسفة اليونانية مع السفسطائيين، الذين أدركوا الإمكانيات التي تحملها اللغة كالمغالطة والقدرة على التمويه وإيقاع الخصم في الخطأ ودور الخطابة في تغيير الرأي والموقف... ولتلك الأسباب كلها تخفى السفسطائيون في ثوب لغوي، وحاولوا هدم الفلسفة لغويا وإعادة بنائها، هذه المحاولة التي سيتصدى لها لاحقا سقراط (469 ق.م – 399 ق.م) وأرسطو (384 ق.م – 322 ق.م).

وفي الفلسفة الأفلاطونية نجد الأطروحة القائلة إن اللغة محاكاة للطبيعة، على اعتبار أن الكلمات في النهاية ينبغي أن تكون من جنس الأشياء المعبر عنها، وبهذا المعنى تكون الكلمات هي الشكل المادي للأفكار. من هنا اعتقد أفلاطون (427 ق.م – 347 ق.م) في "محاورة كراتيليوس"[1] أن الفيلسوف هو من يعرف كيف يصنع الكلمات، فيكون – بالتالي – تقنين اللغة من اختصاص المشرّع (الفيلسوف).

كما تناول أرسطو المسألة اللغوية في مواضع متفرقة من كتب النفس والعبارة والخطابة والاستعارة... كما قام بتصنيف أقسام الكلام، فجمع بين الأسماء والأفعال، أما ما سواهما فلا يفيد إلا في ربط العمليات المنطقية للتفكير، ويذهب إلى أن الكلمات هي وحدها التي تحمل معاني متميزة لذاتها[2]. ولذلك نجد تلك العلاقة الوثيقة بين المنطق الأرسطي واللغة، بل نستطيع القول إن المنطق الذي وضعه أرسطو كمعيار لضبط قواعد التفكير لم يكن إلا بهدف التخلص من عيوب اللغة، ومحاولة منه للقضاء على مشاغبات السفسطائيين وتلاعباتهم اللغوية.

وفي العصر الوسيط، تناول فلاسفة المشرق الإسلامي اللغة في مباحثهم الفلسفية كالفارابي (872 – 950) والغزالي (1058 – 1111) وابن جني (934 – 1002) والجرجاني (1009 – 1078) وبعض المتكلمين... وكانت أهم مسألة اشتغلوا عليها هي مسألة نشأة اللغة وأصلها وكذا مسألة علاقة اللفظ بالمعنى، غير إن ما يميز تلك المحاولات هو الانطلاق من نصوص مغلقة كالأسماء والصفات والمحكم والمتشابه وخلق القرآن...

أما في الغرب المسيحي فقد انصب الاهتمام الباحثين بالنصوص اللاتينية، خاصة ما يتعلق منها بالدراسات النحوية من خلال تطبيق القواعد والنظريات التي توصل إليها علماء الإغريق، وفي العموم لم

(1)- أنظر إلى: أفلاطون، **محاورة كراتيليوس**، تر: عزمي طه السيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة، د ط، ص31 وما بعدها، (الأردن، 1995). ص31 وما بعدها.

(2)- ميلكا إفيتش، **اتجاهات البحث اللساني**، تر: سعد عبد العزيز مصلوح – وفاء كامل فايد، المركز القومي للترجمة، (القاهرة، 2000)، ص12.

المنارة للاستشارات
ww

تخرج الأفكار عن الأرسطوطاليسية، حيث إن كل المحاولات التي حاولت التفكير في اللغة بعد أرسطو فشلت، وذلك بسبب سيطرة النسق الأرسطي.

وفي العصر الحديث ساهم فلاسفة كبار في الدرس اللغوي، ولعل أبرزهم فرنسيس بيكون (1561 – 1626)، جون لوك (1632 – 1704)، وديكارت (1596 – 1650). فبالنسبة لبيكون فإن خلاصة فلسفته حول اللغة ظهرت في كتابه "تقدم المعرفة" والذي بيّن فيه وجه القصور في اللغة الطبيعية وعدم ملائمتها للتعبير عن المعارف العلمية، وهذا ما شكّل له «دافعا للبحث عن لغة فلسفية تتجاوز تلك العيوب والنقائص وتقضي على تلك العوائق، وهذا يعني مما كان يبدو مكمن قوة وكمال في اللغات الطبيعية، التي اعتبر بعضها مقدسا، أصبح بالنسبة للغة الفلسفية نقصا وعيبا»[3].

أما لوك فإن أهم ما قدمه من إضافات للبحث اللغوي هو القول باعتباطية العلاقة اللغوية والانفصال بين الألفاظ ومعانيها التي تشير إليها، وبذلك فهو قد قدم الأساس المتين لقيام الاتجاه البنيوي الذي سيتبنى هذا الطرح لاحقا. ويتفق لوك مع بيكون – كما هو الشأن لبقية الفلاسفة التجريبيون - على قصور اللغة الطبيعية، وما تشكله من عوائق أمام المعرفة العلمية التي هي معرفة تبتغي الوصول إلى الدقة التي لا تتحقق إلا بلغة دقيقة وهو ما لا تحققه اللغات الطبيعية.

اهتم ديكارت أيضا بالظاهرة اللغوية، وأهم ما يقدمه الدرس اللغوي الديكارتي هو ارتباط اللغة بالفكر، فسبب وجود اللغة عند الإنسان وانعدامها عند من سواه هو العقل، وبذلك تكون اللغة خاصية إنسانية محضة. وهذا ما يجعل اللغة في النهاية أبعد ما تكون عن كونها ظاهرة فيسيولوجية.

أما القرن العشرين فهو عصر فلسفة اللغة، حيث أدى "التحول اللغوي" إلى جعل اللغة موضوعاً مركزياً في الفلسفة، ويرجع ذلك أساسا إلى التطورات التي عرفتها علوم المنطق واللسانيات وفلسفة التأويل وفلسفات العلم. وكان هذا التحول مع الفلسفة التحليلية التي جعلت من اللغة منطلقا لها، بحيث سيكون موضوع الفلسفة هو التوضيح المنطقي للأفكار، على اعتبار أن قضايا الفلسفة ليست قضايا ذات طبيعة واقعية بقدر ماهي قضايا لغوية.

3. في ماهية فلسفة اللغة:

(3)– بلبولة مصطفى، **التحولات الفكرية من عصر النهضة إلى عصر "العقل" وأثرها في الدرس اللغوي**، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد12، (الجزائر، 2014)، ص19.

المنارة للاستشارات
ww

إن اهتمام الفيلسوف باللغة يرجع على كون اللغة أداة التفكير الفلسفي، كما يرجع إلى محاولة وضع اللغة كموضوع فلسفي. هذه المحاولة هي التي تشكل نقطة تقاطع بين الفلسفة واللغة، والتي نتج عنها مبحثا فلسفيا جديدا هو "فلسفة اللغة"، التي هي بعبارة مجملة فلسفة التفكير في اللغة، وجاءت كتعبير عن أهم التفاعلات بين الخطاب الفلسفي ومبحث اللغة. وهي تعني إخضاع اللغة لـ"دراسة داخلية"، بحيث تكون اللغة هي نفسها مجالا للبحث وموضوعا للدراسة.

لكن عندما نريد أن نحدد المعنى الدلالي لفلسفة اللغة نجد أنفسنا أمام كم هائل من التعاريف، إلى درجة أنه لا يمكن حصرها جميعا، ذلك لأن هذا التحديد يختلف من فيلسوف إلى آخر، ومن مدرسة أو اتجاه إلى آخر. لكن هذا الاختلاف لا يمعنا من القول – بشكل أعم - إن مفهوم فلسفة اللغة بأنها كل فلسفة تناولت اللغة – كمجال بحثي مستقل – موضوعا لها، فيكون بهذا المعنى البحث الفلسفي بحثا في اللغة، متميزا تماما عن الأبحاث الأخرى حول اللغة التي هي دراسة خارجية للغة، فالدراسة الخارجية للغة يكون موضوع اللغة معروف مسبقا، ويقتصر البحث في علاقاته مع موضوعات أخرى كعلاقة اللغة بالفكر أو بالواقع أو بالعالم... وخير مثال ذلك أبحاث ديكارت في اللغة وعلاقتها بالعقل، فنسمي هنا البحث الديكارتي "بحث أو فلسفة حول اللغة" وليس "فلسفة اللغة".

من هنا نستطيع القول إن «فلسفة اللغة مبحث مستقل له مبحث خاص به هو اللغة، منظورا إليه من الزاوية الفلسفية، وله مناهج قائمة بذاتها، ولغة خاصة، وتاريخ معين، ونظريات أساسية مثل النظريات المنطقية والألسنية والتأويلية»[4]. وهذا يعني ارتباط فلسفة اللغة بالتحليلات المنطقية الرياضية وبالنظريات اللسانية المعاصرة وكذا الأبحاث في مجال التأويل. وبالمجمل نستطيع أن نقول مع بول ريكور (1913 – 2015) إن فلسفة اللغة تدل على الاهتمام الخاص الذي أولته الفلسفة المعاصرة لموضوع اللغة، مقارنة بالاهتمام العام باللغة في تاريخ الفلسفة. وهو اهتمام متزامن مع النهضة اللغوية المذهلة التي صاحبت ظهور علوم اللغة الحديثة[5].

4. اللغة في الفكر الفلسفي العربي الإسلامي:

كانت اللغة من الموضوعات التي انكب على دراستها العقل الإنساني وأسس فيها صرحا معرفيا متعدد الأبعاد في مجالي العلم والفلسفة، لأنه تيقن بأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال إرساء صرحا من الفكر

(4)- زاوي بغورة، **الفلسفة واللغة: نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة**، دار الطليعة، ط1، (بيروت، 2002)، ص197.

(5)- بول ريكور: **الفلسفة واللغة**، نقلا عن زاوي بغورة المرجع نفسه، ص201.

المنارة للاستشارات
ww

العلمي أو الفلسفي دون أن نضبط أولا الدلالة كما نضبط مدلولاتها، فبات الحديث عن علم اللغة وفقه اللغة وعن فلسفة اللغة، وكلها وإن كانت تختلف في المنطلق التأسيسي إلا أنها تصب في قالب واحد وهو الدرس اللغوي الذي حظي باهتمام واسع من قبل العديد من أعلام الفكر العربي والغربي.

ولطالما ارتبط البحث في فلسفة اللغة بالعقل الغربي وما أتت به مدارسه، حتى اقتصرت الدراسات على ما كان من إسهاماتهم وفقط، متجاهلين إسهامات غيرهم، ولعلّ الغاية المرجوة من هذا البحث هو كشف الحجب عما كان من التراث الفلسفي العربي في هذا المجال، ليتبين أنّ هناك العديد من الأعمال التي لازالت تحتاج إلى الاعتناء وإلى استنباط مكنوناتها، لأنّ أصحابها قد وُجهت إليهم أنظار الدرس والفحص من زاوية أحادية، فكانت الأعمال تباعا لهذا اجترار دام لحقب من الزمن، وآن الأوان أن نغير من زاوية رؤيتنا لإنجازات أساطين الفكر العربي، الذين كان من بينهم:

1.4. جابر بن حيان (721 - 815)

يعتبر جابر بن حيان من بين الذين تفطنوا إلى ضرورة ضبط الدال والمدلول قبل أن يتوغل الفكر في درس العمق، وهذا ما حواه "كتاب الحدود" في رسائله التي يغلب عليها الطابع العلمي، ففي هذا الكتاب: وضع ضبطا مختصرا دقيقا لمجموع ومختلف الحدود التي كان يعتمد عليها أنداك، دراسة يرى أنها ضرورية لكل صنف من أصناف العلوم، كما يشير إلى أنّ الغرض من وضعه لهذا الكتاب "الإحاطة بجوهر المحدود على الحقيقة حتى لا يخرج منه ما هو فيه ولا يدخل فيه ما ليس منه، لذلك صار لا يحتمل زيادة ولا نقصانا"، وهنا تحضر الإسهامات الأرسطية في مبحث التصورات حين ذهب أرسطو إلى أنّ التعريف المنطقي لا يكون إلا بالكليات الخمس: من جنس ونوع وفصل نوعي وخاصة وعرض عام، وأنّ من أهم شروط التعريف المنطقي أن يكون جامعا مانعا، وفعلا هذا ما اعتمد عليه "جابر بن حيان" وهو يضع مادة جملة من الحدود: كحد علم الدين، وحد علم الدنيا، وحد العلم الشرعي، وحد العلم العقلي (...)إلخ[6] من الحدود التي كانت ولاتزال محط اهتمام العديد من الدراسات الأكاديمية والتي لا تقوم إلا عن طريق ضبط الحدود؛ يذهب جابر إلى أنّ العلم يصنف إلى ضربين: علم الدين وعلم الدنيا ويجعل في القسم العقلي منها علمي الحروف والمعاني اللذين يشكلان ركائز قيام القسمين معا، وفعلا فالمستقرئ لتاريخ الفكر العربي والإسلامي يجد أنّ المباحث اللغوية قد أخذت النصيب الأوفر من الدرس، حتى اعتبر علم المنطق عندما أسهمت الترجمات في نقله أنه من علم اللغة. وحدث سجال واسع في دمج مباحثه إلى

(6)- جابر بن حيان، **مختار رسائل جابر بن حيان**، تصحيح: ب. كراوس، د ط، مكتبة الخانجي،(القاهرة، 1935)، ص97 - 114.

المنارة للاستشارات
ww

مباحث اللغة العربية، حتى فصل "ابن السكيت (802- 858) في الأمر، وبين أنّ هناك فرقا واسعا بين العلمين؛ فعلم اللغة علم قائم بذاته له أسسه ومرتكزاته، أما علم المنطق هو الآخر له أسسه العقلية ومباحثه التي تختلف عن مباحث علم اللسانيات[7]. وإذا كان هذا رأي ابن السكيت، فالأمر يختلف مع فلاسفة الفكر الإسلامي العربي وهم يقفون على العلاقة الوطيدة الكامنة بين اللغة والمباحث المنطقية حتى أنه يمكن القول أنهما متداخلان بنسبة كبيرة.

4. 2. أبو يوسف يعقوب ابن إسحاق الكندي (805 - 873)

كان الكندي أول من خاض المباحث الفلسفية في الفكر العربي، ودون الخوض في فلسفته الغنية عن التعريف نشير إلى أهم ما أتى به في فلسفة اللغة خاصة فيما خطه في رسائله: وتحديدا في "رسالة في حدود الأشياء ورسومها"، حين شرع في ضبط العلاقة القائمة بين الدال والمدلول وتحديد مدى القيمة العلمية والفلسفية لهذه العلاقة..، فوقف على مصطلحات عدة: كالعلة الأولى، والعقل، الطبيعة، النفس، وحددّ معناها بلغة فلسفية تعتمد وبشكل كبير على اللغة المنطقية متوخيا الاختصار والدقة، حتى يمكن القول أنه وجب على العقل العربي اعتماد المصطلح الفلسفي الكندي في الفلسفة العربية باعتبار أنّ لكل فلسفة مصطلحاتها التي تؤسس لها، وإذا كان الإسهام الكندي محتشما مقتصرا على ضبط معنى العديد من الحدود فإنا نلمس إنجازا معمقا مع من يليه وتحديدا مع:

4. 3. أبو نصر محمد الفارابي (874 - 950)

يلقب الفارابي بالمعلم الثاني لا لشيء إلا لأنه قد أولى اهتماما بالغا بالإرث اليوناني من تحليل وشرح، ومن جهة أخرى أنّ جل الدراسات التي تناولته إنما كانت حول آراءه في المدينة الفاضلة ومواقفه وهو يجمع بين رأي الحكيمين: أفلاطون وأرسطو، ولعل ما نخطه في مقالنا هذا يرفع الحجب عن العديد من الإسهامات الأصيلة التي أتى بها والمتمثلة في فلسفته في اللغة وهذا ما ضمنه مؤلفيه: "إحصاء العلوم" و"كتاب الحروف" هذا الأخير الذي يعد بحث في أصل اللغة واكتمالها وعلاقتها بالفلسفة، فضلا عن شرحه فيه لكتاب "ما بعد الطبيعة" لأرسطو؛ إنّ المتأمل في ما أتى به الفارابي في مؤلفه هذا يرى أنه كان يقول بعلم اللسان، الموجد لفلسفة اللغة ومصدرها الأول والأخير، لذا عمد إلى تحليل علم اللسان وأجزاءه، فيذهب إلى أنّ علم اللسان ضربان: «أحدهما حفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما، وعلم ما يدل عليه شيء منها، والثاني علم قوانين تلك الألفاظ»[8]، وهنا يضع الفارابي قواعد تحكم الدال بمدلوله، كما

(7)- تفصيل هذا: ابن السكيت، **إصلاح المنطق**، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، دار المعارف، د ط، (القاهرة، دت).

(8)- أبو نصر الفارابي، **إحصاء العلوم**، تقديم: عثمان محمّد أمين، (د، ط)، مطبعة السعادة، (القاهرة، 1931)، ص3 -4.

المنارة للاستشارات
ww

يصنف اللفظ الدال في اللسان حسب التصنيف الأرسطي بين اللفظ المفرد واللفظ المركب، فأما اللفظ المفرد فهو الذي لا يدل جزؤه على أي جزء من معناه وأما اللفظ المركب فهو الذي يدل جزؤه على جزء معناه، والألفاظ المفردة هي «ألقاب أعيان ومنها ما يدل على أجناس الأشياء و أنواعها التي تنقسم بدورها إلى أسماء وكلم وأدوات»[9]، كما يستفيض الفارابي في مؤلفه "إحصاء العلوم" في وضع قوانين علم الألفاظ المفردة والمركبة، وعلم قوانين الكتابة، وعلم قوانين تصحيح القراءة، قوانين متداخلة يخدم بعضها بعضا[10]، وفي موضع آخر يفصل الفارابي القول في الحروف وفي أسماء المقولات[11]، وكذا علاقتها ببعضها كما يبين مدى أهمية اللغة في فهم القضايا المنطقية ومدى أهميتها أيضا في التأسيس للقضايا الفلسفية التي تعتمد لغة خاصة بها معززا موقفه هذا بحجة تمثلت في حرف "إنّ" الذي يعني الثبات والدوام والكمال والوثاقة في الوجود وفي العلم بالشيء، وفي اليونانية "أن" و "أون"،وكلاهما تأكيد، إلا أنّ "أون" أشد تأكيدا، وأنه دليل على الأكمل والأثبت والأدوم، فلذلك يسمون الله بـ"أون" وهم يخصون به الله، فإذا جعلوه لغير الله قالوها ب، "أن"، ومنه تسمى الفلاسفة الوجود الكامل "إنية" الشيئ، وهو بعينه ماهيته"[12]، فاللغة عند الفارابي وبأدنى تراكيبها – الحرف - يعمل على ضبط الكثير من القضايا التي يمكن أن نرسي من خلالها العديد من القضايا العلمية والفلسفية، هذا فضلا عن ما أطنب في تحليله للمقولات وباقي المباحث اللغوية التي لا يتسع المقام لتحليلها.

4. 4. أبو حيان التوحيدي (922 - 1023)

يذهب الكثير إلى أنّ مباحث المنطق التقليدي في شقه الصوري شبيه بنسبة كبيرة إلى علم النحو في اللغة العربية، وهذا ما أتي عليه "أبو حيان التوحيدي" في مقابساته إلى تبيان الفرق الكامن بينهما، ففي المناظرة المشهورة بين "أبي سعيد السيرافي" النحوي و"أبي بشر متى بن يونس" المنطقي، أفاد بمناظرة اعتمدت على تحديد ماهية كل منهما "فـ«النحو منطق عربي، والمنطق نحو عقلي، وجل نظر المنطقي في المعاني وإن كان لا يجوز له الإخلال بالألفاظ التي هي لها كالحال والمعارض، وجل نظر النحوي في الألفاظ، وإن كان لا يسوغ له الإخلال بالمعاني التي هي لها كالحقائق والجواهر»[13]، وحتى يتضح الأمر فالنحو هو نظر في كلام العرب يعود بتحصيل ما تألفه وتعتاده، أو تفرقة وتعلل منه، أو تفرقة وتخلية، أو تأباه

(9)- المرجع نفسه، ص5.

(10)- المرجع نفسه ص6 – 10.

(11)- أبو نصر الفارابي، **كتاب الحروف**، تقديم ابراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2000)، ص15.

(12)- المرجع نفسه، ص15.

(13)- أبو حيان التوحيدي، **المقابسات**، تحقيق: حسن السندوبي، ط2، دار سعاد الصباح، (الكويت، 1992)، ص169.

المنارة للاستشارات
ww

وتذهب عنه، وتستغني بغيره، أما المنطق فهو آلة بها يقع الفصل والتمييز بين ما يقال: هو حق أو باطل، فيما يعتقد، وبين ما يقال: هو خير أو شر، فيما يفعل، وبين ما يقال: هو صدق أو كذب، فيما يطلق باللسان، وبين ما يقال: هو حسن أو قبيح بالفعل، هذا فضلا عن أنّ فائدة النحو مقصورة على عادة العرب بالقصد الأول، قاصرة عن عادة غيرهم بالقصد الثاني، والمنطق مقصور على عادة جميع أهل العقل من أي جيل كانوا وبأي لغة أباتوا[14]. وهذا يعني أنّ الجانب الخاص الذي يحمله النحو مرتبط بلغة بعينها دون باقي اللغات، عكس المنطق الذي لا يتصف بالخوصصة وإنما هو شامل عام للجميع. هذا ومن جهة أخرى، فالنحو يرتب اللفظ ترتيبا يؤدي إلى الحق المعروف، أما المنطق فيرتب المعنى ترتيبا يؤدي إلى الحق المعترف به من غير عادة سابقة، والشهادة في المنطق مأخوذة من العقل، والشهادة في النحو مأخوذة من العرف، لتنتهي المناظرة بأنّ كلا العلمين متقاربان في بلورة وضبط المباحث اللغوية بحسب ما يؤتى من أليات وأدوات يعتد بها العقل.

4. 5. أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (1126 - 1198)

يعتبر أبو الوليد ابن رشد من الفلاسفة الذين أثروا الإنتاج الفلسفي العربي بداية بترجمة وشرح الفلسفة الأرسطية، نزولا إلى فلسفته الأصيلة التي تناول عدة قضايا فلسفية متنوعة المجالات، إذ نجد في مؤلفه "تلخيص الخطابة" إسهاما بيّنا في مباحث فلسفة اللغة، ولعل أنّ أهم ما أتى به – حسب رأينا – في هذا المجال يتمثل في تأسيسه لفن الخطابة، واضعا بذلك الأعمدة التي يجب أن تقوم عليها، حتى تحقق الغاية المرجوة منها عند الاتصال بالآخر، فهو يرى أنّ الخطابة والجدل متقاربان في مهامهما وتحقيق الأهداف التي تسعى إليها مجالات العلوم، فبالخطابة القائمة على موازين مضبوطة تحقق القيم الأخلاقية والقيم الإنسانية في آن واحد، كما يذهب إلى أنّ صناعة الجدل والخطابة واحدة والمتمثلة في صناعة المنطق كما يشكلان عمادته، واضعا بذلك ثلاثة أمور: «أحدها الإخبار عن جميع المعاني والأشياء التي يقع بها الإقناع، والثاني الإخبار عن الألفاظ التي يعبر بها عن تلك المعاني، وما يستعمل معها مما يجرى مجراها، والثالث كم أجزاء القول الخطي وكيف ينبغي أن يكون ترتيبها ومما يأتلف كل جزء من الألفاظ والمعاني»[15]. وإذا كانت صناعة الخطابة تقوم على الإقناع فإنّ هذا الأخير يقوم على الألفاظ التي يشترط أن تكون مخصوصة ذات معاني مخصوصة، فتكون بذلك ألفاظا جيدة الإفهام بينة المعنى. لذا يرى ابن رشد أنّ النظر في الألفاظ هو جزء من صناعة المنطق، لأنّ النظر فيها لا يكون مخصوصا بأمة من الأمم،

(14)– المرجع نفسه، ص 171.

(15)– أبو الوليد ابن رشد، **تلخيص الخطابة**، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، (د–ط)، دار القلم، (بيروت، 1959)، ص4.

المنارة للاستشارات
ww

وإنما عليه أن ينظر في الأحوال المشتركة بجميع الأمم. ثم يخصص ابن رشد تحليلا كافيا وافيا للألفاظ – لا يتسع إليه المقام لذكره - التي تؤسس للحقائق العلمية.

إنّ المتأمل في الإسهامات الأولية لفلاسفة اللغة في الفكر العربي الإسلامي، يجد أنّ لها منطلقا واحدا؛ وهو البحث في اللفظ هذا الأخير الذي يشكل أساس قيام المنظومة الفكرية للذوات الإنسانية، ومنه القيام بتحقيق العلم والمعرفة، كان هذا مع النماذج التي أشرنا إليها والأمر نفسه مع ثلة من المفكرين كمحمد بن موسى الخوارزمي وأبو علي الحسين ابن سينا وأبو حامد الغزالي وغيرهم، الذين وجب علينا اظهار الوجه الآخر في إسهاماتهم التي لاتزال مطموسة وراء الحجب لحد الساعة.

5. الإسهام الغربي المعاصر في فلسفة اللغة - المدرسة التحليلية أنموذجا.

1.5. الفلسفة والانعطاف نحو اللغة

نستطيع أن نقول بما لا يدع مجالا للشك، إن فلسفة اللغة ترادف ضمنا المدرسة التحليلية، حيث تبلور مضمون فلسفة اللغة ضمن سياق الفلسفة التحليلية حينما انعطف التحليل على اللغة مع إدوارد مور وبرتراند سل وفيتجنشتاين. والحقيقة، إن الفلسفة منذ أقدم عصورها ارتبطت بالتحليل؛ فقديما قدم سقراط وأفلاطون وأرسطو تحليلات للمفاهيم والأفكار والتصورات، ومع المذهب التجريبي قدم جون لوك ودافيد هيوم تحليلات للمعطيات والعناصر الحسية للمعرفة الإنسانية.

أما القرن العشرين فهو عصر التحليل وفلسفة اللغة، حيث عرفت الفلسفة المعاصرة ما يسمى بـ"المنعطف اللغوي Le tournant linguistique"، والذي لا يعني سوى الانعطاف باتجاه الفلسفة اللغوية، وجعل اللغة موضوعا رئيسا في الفلسفة. وقد ارتبط "التحول اللغوي" بالفيلسوف الألماني غوتلوب فريجه (1848 – 1925)، مؤسس المنطق الرياضي الحديث، الذي جعل من تحليل بنية الفكر هدفا للفلسفة. واكتمل مسار هذا التحول مع جورج إدوارد مور (1873 - 1958) وبرتراند رسل (1872 – 1971)، ثم كانت أهم خطوة نحو هذا التحول مع لودفيغ فتجنشتاين (1889 – 1951) في كتابه "رسالة فلسفية منطقية"، وبعدها صار التحليل اتجاهاً فلسفياً قائماً بذاته مع فلسفة التحليل المعاصر. ومع هذا التحول أو الانعطاف ظهرت الكثير من الاتجاهات والمدارس التي لا يمكن حصرها جميعا، ويكفينا الإشارة إلى نموذج من هذه المدارس وهو المدرسة التحليلية التي جعلت من اللغة موضوعها المركزي في الفلسفة.

2.5. المدرسة التحليلية وقضايا اللغة

يستخدم مصطلح الفلسفة التحليلية كوصف لذلك المبحث الفلسفي الذي يهدف من خلال التحليل إلى فهم مشكلات (موضوعات) الفلسفة من خلال التحليل المنطقي للغة، فقضايا الفلسفة يمكن فهمها انطلاقا من العناية باللغة. لقد كانت هناك قناعة «إن ما يميز الفلسفة التحليلية عن المدارس

المنارة للاستشارات
ww

الأخرى هو أولا الاعتقاد بأن المعالجة الفلسفية للفكر يمكن أن تتحقق من خلال المعالجة الفلسفية للغة، وثانيا أن الاشتغال الفلسفي باللغة هو السبيل الوحيد للظفر بمعالجة استيعابية للفكر»[16]. ومعنى ذلك أن مشكلات الفلسفة عند أنصار الاتجاه التحليلي يعود أساسا إلى الجهل بمبادئ الرموز وسوء استخدام اللغة، وبالتالي سيكون التحليل اللغوي سبيلا لتوضيح تلك المشكلات، وهي في الأغلب مشكلات زائفة. من هنا سيكون أيضا للفلسفة مفهوم آخر وهو أنها مجرد توضيح للأفكار عن طريق تحليل العبارات اللغوية التي تصاغ فيها هذه الأفكار، وهذا تحديدا ما عبر عنه فيتجنشتاين حينما يذهب إلى أن موضوع الفلسفة هو التوضيح المنطقي الدقيق للأفكار، مما يجعل من العمل الفلسفي فاعلية وليس مجرد نظريات.

وعليه ستكون الفلسفة وفلسفة اللغة تحديدا خادمة للعلوم ومسايرة لها، من حيث إن العلوم تُخبر عن الأشياء الطبيعية على اختلاف أنواعها، أما الفلسفة فستقوم بالبحث في منطق تلك الجمل العلمية الإخبارية وتوضيح غامضها. ومن بين التي امتد إليها معول فلسفة التحليل "قضايا الميتافيزيقا"، وبيّنت أن هذه القضايا تخرج من دائرة العلم، من حيث هي قضايا فارغة من المعنى وغير قابلة لمبدأ التحقق التجريبي، ومن ثمّ يجب استبعادها باعتبارها موضوعات تتجاوز الواقع المادي، حيث لا يمكن التحقق من صدق قضاياها بمناهج العلم. هذا الموقف من الميتافيزيقا أصبح بمثابة اعتقاد بديهي لمدرسة الوضعية المنطقية التي تؤمن – انطلاقا مما جاء في "رسالة فلسفية منطقية"، لفيتجنشتاين – أن هناك فقط نوعين من القضايا يمكن أن يكونا موضوعا للفلسفة والعلم، وهما: قضايا العلوم الطبيعية وهي قضايا تركيبية التي تعبر عن وقائع العالم، وقضايا المنطق والرياضيات البحتة وهي قضايا تحليلية، أي هي تحصيل حاصل (Tautologie). بصفة عامة، أن في نظر المدرسة التحليلية وكذا الوضعية المنطقية أن هناك نوعان من المعارف المشروعة:

النوع الأول يتعلق بمعارف ترتبط بصور الفكر ومنشآت اللغة، والثاني معارف ترتبط بظواهر الواقع ومعطيات التجربة.

إن النوع الثاني يرتبط بما نقول عن الأشياء الواقعية، وبالتالي يصبح لزاما أن نضع لغتنا عندما نتحدث عن الأشياء لتحليل منطقي صارم حتى نعبر عن معطيات التجربة تعبيرا سليما، وبالتالي سيصبح موضوع الفلسفة لا الأشياء نفسها بل الكيفية التي نتحدث بها عنها، مما سيجعل تحليل لغة العلم

---

(16) – نقلا عن صلاح عثمان، **جوتلوب فريجه: في المعنى والإشارة – قراءة وترجمة وتعليق**، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، الإصدار الأول العدد الثالث، (جامعة الإسكندرية، 2016)، ص155.

المنارة للاستشارات

موضوعا للفلسفة العلمية[17]. من هنا وضع التحليليون المقابلة بين اللغة والعالم من حيث أولا اللغة تخبر عن العالم وتعبر عنه، وثانيا لابد أن تكون العلامة اللغوية مستخدمة قابلة للتحقيق وتشير إلي واقع مادي موجود في الواقع الخارجي.

وبالتالي سيصبح – كما يرى محمود فهمي زيدان - المجال الوحيد المشروع للفلسفة هو منطق العلوم أو فلسفة العلوم[18]، بمعنى أن الأفكار والقضايا التي يحللونها هي قضايا العلم الطبيعي، لا من حيث محتواها، فذلك من شأن علماء الطبيعة، وإنما من حيث صورتها وهي دراسة تركيب النظرية العلمية وصلتها بالواقع، ودراسة المناهج العلمية، وتوضيح تصورات المعنى والصدق والاحتمال.

سنلاحظ مع المدرسة التحليلية ذلك الاهتمام البالغ باللغة ومدى تأثيرها الكبير في الفلسفة، الأمر الذي سيجعل اللغة أحد أهم أهداف البحث الفلسفي. لكن السؤال هنا هو: ماهي اللغة التي تكون موضوعا للبحث وهدفا للتحليل لدى مدرسة التحليل اللغوي؟

يستبعد برتراند رسل اللغة العادية (الطبيعية) من التحليل باعتبارها أداة مضللة أو خادعة للتفكير وهي غير قادرة – جراء ذلك – أن تعبر عن قضايا الفلسفة، لذلك أولى كل اهتمامه باللغة الاصطناعية أو ما يسميها باللغة المنطقية، وهي لغة مثالية في نظره، فهي لغة دقيقة من شأنها أن توضح ما هو غامض وقادرة أكثر من غيرها على التعبير عن المسائل الفلسفية.

6. خاتمة:

وهكذا يتضح أن فلسفة اللغة من حيث هي بحث نظري في الأشياء والعالم، تستند إلى العلم ومناهجه وإلى التطورات الحاصلة في حقول معرفية أخرى كالرياضيات والمنطق. وكانت تهدف إلى محاولة إيجاد لغة دقيقة يتكلم بها العلم، فالعلم يخبر عن الأشياء ولذلك فهو بحاجة الى لغة، على أن تخضع هذه اللغة لتحليل صارم للقضاء على المشكلات الزائفة في العلم والفلسفة.

لذلك يمكن اعتبار فلسفة اللغة أهم المباحث الفلسفية لما لها من القيم العلمية والمعرفية في تحقيق الهدف الأسمى من الفكر الفلسفي، ألا وهو الوقوف على ضبط ماهية الشيء وحقيقته، لذا انكب العقل الإنساني على درسها وتوظيفها منذ القِدم. وقد تأرجحت الموافق بين موازين العقل العربي وأعلامه

(17)- محمد عابد الجابري، **مدخل إلى فلسفة العلوم: العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي**، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط5، (بيروت، 2002)، ص27 – 28.

(18)- محمود فهمي زيدان، **مناهج البحث الفلسفي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، (الإسكندرية، 1977)، ص84.

المنارة للاستشارات
ww

والعقل الغربي، فالفكر الفلسفي العربي الإسلامي وإن كان مقاربا في طرحه لمباحث اللغة للفكر الغربي، إلا أنه يختلف معها في العديد من النقاط الواجب الوقوف على إعادة النظر فيها واستنباط النسق الذي يميزها، فضلا عن الاهتمام أيضا بما كان في الفكر المعاصر من فحص دقيق لهذا المجال لما بينته دراستنا لأهمية البحث في هذا المجال.

7. قائمة المصادر والمراجع:

1- أنظر إلى: أفلاطون، محاورة كراتيليوس، تر: عزمي طه السيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة، د ط، ص31 وما بعدها، (الأردن، 1995). ص31 وما بعدها.

2- ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعد عبد العزيز مصلوح – وفاء كامل فايد، المركز القومي للترجمة، (القاهرة، 2000)، ص12.

3- بلبولة مصطفى، التحولات الفكرية من عصر النهضة إلى عصر "العقل" وأثرها في الدرس اللغوي، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد12، (الجزائر، 2014)، ص19.

4- زاوي بغورة، الفلسفة واللغة: نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، ط1، (بيروت، 2002)، ص197.

5- بول ريكور: الفلسفة واللغة، نقلا عن زاوي بغورة المرجع نفسه، ص201.

6- جابر بن حيان، مختار رسائل جابر بن حيان، تصحيح: ب. كراوس، د ط، مكتبة الخانجي،(القاهرة، 1935)، ص97 - 114.

7- تفصيل هذا: ابن السكيت، إصلاح المنطق، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، د ط، (القاهرة، دت).

8- أبو نصر الفارابي، إحصاء العلوم، تقديم: عثمان محمد أمين، (د، ط)، مطبعة السعادة، (القاهرة، 1931)، ص3

9- أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف، تقديم ابراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2000)، ص15.

10- أبو حيان التوحيدي، المقابسات، تحقيق: حسن السندوبي، ط2، دار سعاد الصباح، (الكويت، 1992)، ص169.

المنارة للاستشارات

ww

11- أبو الوليد ابن رشد، تلخيص الخطابة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، (د-ط)، دار القلم، (بيروت، 1959)، ص4.

12- نقلا عن صلاح عثمان، جوتلوب فريجه: في المعنى والإشارة - قراءة وترجمة وتعليق، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، الإصدار الأول العدد الثالث، (جامعة الإسكندرية، 2016)، ص155.

13- محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم: العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط5، (بيروت، 2002)، ص27 – 28.

14- محمود فهمي زيدان، مناهج البحث الفلسفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، (الإسكندرية، 1977)، ص84.

المنارة للاستشارات

ww